عبد العزيز الميمنى الراجكوتى : منار العربية في الهند
(١٣٠٦ – ١٣٩٨هـ) (١٨٨٨ – ١٩٧٨م)

أ.د. عفت الشرقاوى(*)

(١)

تقتضي المناسبة المنهجية عند التعرض لدراسة أعمال عالم من علماء العربية كبير القدر ــ هو في أصله هندى الجنسية ــ مثل عبد العزيز الميمنى وقفة متأملة تتقصّى أسرار البيئة الثقافية التي أنشأت هذا الباحث القدير، وأورثته صفتين ملازمتين مدى الحياة، هما : حب العربية وأهلها، والإصرار على اكتساب الخبرة العميقة بأسرارها وذخائرها . وهذه الحقيقة يجمع عليها علماء العربية الذين يشهدون بتمكنه العميق من علوم العربية وآدابها، وحبه لأهلها وبلادها .

ولعل أكثر هؤلاء العلماء اهتماما بتوضيح آفاق ذلك الميل المخلص – في بيان عربي مشرق – هو معاصره وزميله بالمجمع العلمي العربي بدمشق شاكر الفحام الذي صار رئيسا لهذا المجمع بعد ذلك، وقدم دراسة وافية لمؤلفات الميمنى وتحقيقاته في بحث علمي مفصّل، وهذا البحث هو أحد المصادر المهمة في هذه الدراسة ؛ ونشير إليه فيما يلى باسم الفحام[١] .

يصف الفحام تعلقِ الميمنى بالعربية وحبه لها بأنه تعلق عاشق عابد، استطاع أن ينبغ في معرفة أسرارها نبوغا شديدًا "فقد تبتّل في محاريبها، وأراح في جنباتها، فتعرف إلى بيانها، وتذوق سحرها وإعجازها، ووقف على أسرارها ودقائقها، وأحاط خبرًا بأدبائها وشعرائها وعلمائها ورجالها"[٢] .

وقد ظل اهتمام الميمنى بتراث العربية العظيم مستمرًا طوال سني حياته، فدرسه طالبًا ثم درَّسه لتلاميذه أستاذا، وسعى حثيثًا لتحقيقه ونشره، وأرشد إلى نفائسه وذخائره كل من يتوسم فيه استعدادًا للمتابعة والإفادة. وكان حريصا على التعاون العلمي مع علماء عصره من العرب والمسلمين والمستشرقين، اهتماما بهذا التراث الذي يحبه، دائب العمل فيما نصب نفسه له، يبذل فيه أقصى ما في وسعه، ويوالي نصحه لا ينى ولا يفتر. ولقد بلغ به حبه للعربية والهيام بها أنه

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب . جامعة عين شمس.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٥٤ سنة (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م)، ص ٢٣٦ .

(٢) الفحام ــ نفسه، ص ٢٣٦ .

كان يحس نفسه غريبًا بين أهله في الهند، فيقول مثلاً : "والله المسئول أن يجعل سعيى مشكورًا بين أدباء البلاد العربية، فهم غرضي من إنشائها في العربية"ـــ يريد بذلك الإشارة إلى مقالة له في ابن رشيق كانت في أصلها محاضرة باللغة الأوردية، فنقلها إلى اللغة العربية. وقد عدَّ ذلك تعبيرًا مجددًا من جانبه عن حبه للعربية وأهلها [١].

وهكذا كان الميمنى دائم الحنين إلى العرب، وبلاد العرب، ولغة العرب معلنا عن شعوره بالغربة في بلاده "إنني بين أهلي ووطني كأنني أجنبى عنهم"، وهو في ذلك لايزال يردد قول الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل

فهل كان عشق الميمنى للعربية ــ مع أنه صاحب جنسية هندية ذات لسان قومي آخر ــ هو مصدر إحساسه بالغربة، وهو بين أهله وعشيرته، أم أن هذا الإحساس المسيطر بالغربة هو الذي عمق في وجدانه هذا الحب الدافق للعربية وأهلها ؟ أم نقول إنه رجل تمتزج لديه مشاعر الانتماء الروحي للإسلام بالحس اللغوي الرفيع بعبقرية العربية؟ تلك ظاهرة مشهودة لدى كثير من علماء العربية ومتعلميها في بلاد المسلمين الذين تتقارب لديهم مساحة العلاقة بين العروبة والإسلام إلى ما يشبه التماهي. وربما تتضح المعالم الثقافية لهذه العلاقة لدى الميمنى فيما تناول من بعض أخباره مما يلي. والمهم هنا ــ على كل حال ــ أن نقرر مرة أخرى أن عمله في شأن تحقيق المخطوطات، وإقامة ما اضطرب من أمرها كان فيه من الاجتهاد العلمي والإخلاص الروحي والتواضع الأخلاقي ما يدعو دائمًا إلى إعجاب الباحثين والعلماء، وفي ذلك يقول شاكر الفحام : "فكم كتاب طمس بالتصحيف والتحريفٍ جلا عن وجهه، حتى أضاء وأزهر، وكم عوراء قذف بها متهجم حاقد يريد بالعربية شرًا، فردها، وأفحم صاحبها . . . جاهد عن العربية فأبلى في جهاده. . . وظل كالشمس المشرقة البازغة، ينشر أنوار معرفته. . . حتى وافاه أجله في التسعين من أعوامه أعز ما كان شأنًا، وأرفع مقامًا "[٢].

(٢)

تقدم حياة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ــ المعروف في دراسات المستشرقين باسم "ميمن" (Memon) ــ مثلاً واضحًا في حب العربية، وعشق الكتاب العربي، والسعي الدائب للحفاظ على تراثها اللغوي كما سبقت الإشارة. والحقيقة أن الميمنى في ذلك لم يكن وحيد عصره بين

---

(١) نفسه ص ٢٤١.

(٢) الفحلم ــ نفسه، ٢٤٧.

قومه في الهند، بل كان هناك دأب دائم وحرص واعٍ من جانب كثير من المسلمين على تعلم العربية وتعليمها منذ دخلت العربية شبه القارة الهندية، فانتشرت بانتشار الإسلام، وظهر عدد من الأعلام الكبار في علوم العربية وغيرها تعتز بهم ثقافة العرب وحضارة الإسلام. وقصة اللغة العربية في الهند التي كتب بعض فصولها بعناية وإتقان عبد العزيز الميمنى مثل يذكر العرب جميعًا بدور قد تقاعسوا عن القيام به في هذه البلاد، مع حرص الآخرين (غير العرب) على طلبه، وإلحاحهم في السعي إليه، وهذا الدور المفتقد هو الإسهام الجاد لإعلاء شأن العربية ونشر تراثها بين جمهور المسلمين في هذه البلاد التي لا يتصور أهلها استقامة لحياتهم الروحية أو تحقيقًا لهويتهم العقدية بدونها . إن المكانة التي تحظى بها العربية في قلوب المسلمين في أنحاء العالم كبيرة ؛ ولذلك يجب أن تكون موضع الرعاية القريبة من جانب المسئولين العرب في كل مكان. إنها لغة التراث الروحي للمسلمين على اختلاف بيئاتهم اللغوية، وهي وسيلة أداء شعائرهم الدينية وفهم معاملاتهم الشرعية، وهي قبل هذا وذاك لغة الوحى المبين نزل به الروح الأمين على النبى الكريم رسولا للعالمين. وفي رأيي أن حجم الاهتمام العربي بهذه القضية اللغوية لا يتناسب مع قيمتها الروحية او اهميتها الحضارية والسياسية في العالم الإسلامي.

ووجه الاعتبار هنا أن اللغة العربية التي حملت لواءها، وعملت على نشرها أجيال مبكرة من علماء العربية والباحثين والمؤرخين والرحالة العرب والتجار والمتصوفة وغيرهم لم تجد بعد ذلك من يواصل السعي في هذا السبيل بقوة واقتدار، لترسيخ القواعد، ومتابعة انتشار العربية بين الشعوب التي اعتنقت الإسلام، وذلك في عصور تخلف الحضارة الإسلامية منذ سقوط بغداد سنة (٦٥٦ / ١٢٥٨) . وحقيقة الأمر أن مصائر اللغات وحركتها على خريطة العالم تحددها أقدار أصحابها في ركب الحضارات الإنسانية صعودًا وهبوطًا .

والواقع أن الدور السياسي الذي تقوم به اللغات المختلفة في التوجيه الإيديولوجي للشعوب ربما يفوق التصور القريب، فهو من أكثر العوامل تأثيرًا في تشكيل التوجهات الثقافية أو التكتلات السياسية في جميع الأنحاء . ولدينا الآن مثل واضح لما يجرى على الساحة العالمية في صناعة الحرب والسلام، حيث تؤلف دول ثلاث . ذوات لغة واحدة مشتركة هي اللغة الإنجليزية ـ تحالفاً أساسيًا ثابتًا في المسألة العراقية كما هو معروف، وهذه الدول هي الولايات المتحدة وانجلترا واستراليا، وهو موقف يختلف في جوهره عن مواقف دول أخرى نراها تتشكك، أو تتردد، أو تتحفظ، أو تتراجع ـ بصورة أو بأخرى ـ عن مسألة التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، مثل

: فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، وهكذا اختلف القرار السياسي باختلاف اللغة، مهما يكن من شأن المصالح الاقتصادية وملابسات العولمة في هذا الصدد .

ولا يحتاج الأمر أن نعيد على القارئ ما يردده المفكرون العرب في مؤلفاتهم، وفي وسائل الثقافة والإعلام المختلفة عن دور اللغة العربية في التقريب بين العرب وجمع كلمتهم، ولكننا نشير هنا إلى تنبُّه مستشرق كبير، هو "جب" إلى هذه الحقيقة منذ منتصف القرن الماضي الذي قال متنبئًا بوحدة العرب : "أستطيع أن أؤكد أن البلاد الناطقة بالضاد ستلعب دورًا في غاية الأهمية، وربما كان دورًا حاسمًا، فثقافة هذه البلاد راقية جدًا، وسيزداد نزوعها إلى تكوين وحدة فكرية أساسها وحدة اللغة الأدبية وسهولة المواصلات بينها"[1] .

إن أعلامًا من علماء هذه الشعوب الإسلامية التي لايزال عشقها للعربية ثابتًا كما رأينا في شخصية الميمنى واصلوا السعى قدر طاقتهم، ولكنهم لم يجدوا العون العربي الكافي للاستمرار في الاهتمام بالعربية وتراثها على النحو الذي يأملون ؛ وبذلك أفسح العرب الطريق للغات أخرى جلبها المستعمر إلى هذه البلاد، فنافست العربية فيها مع أن أهلها لايزالون حريصين على الحفاظ على تراثهم الروحي الذي يمثل لهم حقيقة هويتهم الروحية وارتباطهم المقدس بلغة الوحى الكريم.

وقس على ذلك مشاعر كثير من المسلمين في أنحاء العالم قد يتجاوز عددهم مليار إنسان، يتطلعون إلى تأصيل ثقافتهم الروحية على أساس لغوى يرونه الطريق إلى فهم لغة الوحى المقدس.

لقد توانى العرب عن متابعة رحلة التوسع الجغرافي للغة العربية الذي ارتبط بانتشار الإسلام ؛ وبذلك قصروا عن مد يد العون لمسلمى هذه الشعوب الذين لايزالون يحتفظون بأشواقهم الصادقة نحو العربية وأهلها، ويسعون إلى تأييد يعين على تعلمها وانتشارها .

وسنرى فيما بعد كيف كان لعلماء العربية والإسلام في الجزيرة العربية على الخصوص تأثير كبير في التكوين الثقافي والنفسي لشخصية الميمنى، وخصوصا ما سعد به من عون عن طريق أساتذة من مكة واليمن، إذ كانوا كثيرى الرحلة بين الهند وجزيرة العرب. وفي مرحلة أخرى عندما اكتمل نضجه الفكرى والعلمى بفضل هؤلاء الأساتذة حان عطاؤه العلمى حيث كان للمؤسسات الثقافية المصرية والسورية دور كبير في الترحيب بالرجل، والتعريف به، ونشر أعماله، واختياره عضوا في المجمعين اللغويين السورى والمصرى على النحو الذى نفصله بعد قليل. ومع ذلك فلا بد أن نتذكر أن حالة الميمنى وعلاقته مع الأساتذة العرب سواء في المرحلة الأولى أو الثانية لا تمثل إلا

---

(١) وجهة العالم الإسلامي، جب وآخرون ـ ترجمة محمد أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، ١٩٣٤، ص ٩٩.

حالات فريدة في الهند بعد أن تناقص دور العرب رويدًا رويدًا في الاهتمام اللغوى بأحوال المسلمين في العالم على النحو الذى تقدم.

ولقد خسر العرب بهذا التوقف عن متابعة السعى في خدمة العربية مجالاً واسعًا كان مهيئًا لعالمية العربية، وكان جديرًا أن يجعل من الكتاب العربي منافسًا أول لأكثر الكتب انتشارًا بين لغات العالم، وربما كان حريًا أن يشارك في تغيير خريطة التاريخ في هذه المنطقة من العالم، إذا تذكرنا علاقة اللغة بالتوجهات السياسية كما سبقت الإشارة، أو إذا تساءلنا بطريقة غير تاريخية : ماذا خسر المسلمون بانحسار الخريطة الجغرافية للغتهم العربية التي كان من الممكن أن تكون لسانًا موحدًا للشعوب الإسلامية ؟ وقد نقول: إن هذا التقصير لايزال مستمرًا حتى في عصر النهضة العربية الحديثة التي أذكت الإحساس القومي بالعروبة وآمالها التاريخية في الوحدة والتقدم، ونبهت العرب إلى عناصر القوة في جمع القلوب لدى الشعوب الصديقة، وضم الشتات، والاستجابة إلى ما يقتضيه منطق التطور بزيادة التقارب بين أجزاء العالم الإسلامي. ومعنى هذا في إيجاز أن حرب اللغة العربية في هذا الصدد هي حرب سياسية بالدرجة الأولى سواء على المستوى العربي أو المستوى الإسلامي، فنصير لغتك هو نصير وعيك الروحى ووجودك السياسى في آن واحد .

وإذا كان الميمنى يمثل في زمانه منارًا عاليًا لصوت العربية في الهند على النحو الذي تقدم فإن هناك أصواتًا أخرى لا تزال تعبر عن حبها للعربية وأهلها، ولكنها تزجى في الوقت نفسه عتابًا صادقًا إلى أخوة لهم في أقطار العالم العربي فيما يتعلق بالشأن اللغوي. وفي هذا العتاب ما يعبر بوضوح عن إحساسهم بإخفاق رجائهم وخيبة أملهم فيما كانوا يتوقعون من عون على نشر اللغة العربية. ونقدم هنا في هذه المناسبة مثالاً على ذلك ما كتبه أحد الإعلاميين العرب في وصف رحلة قام بها إلى بلاد الهند للتعرف على أخبار تعليم العربية فيها، فقد انتهز البروفيسور سيد جهانكير ــ رئيس قسم اللغة العربية بالمعهد المركزى للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ــ هذه المناسبة ليعلن أن سبب قلة الكتب والدوريات العربية عن نظيرتها في المكتبة الخاصة بالمعهد : "أن الكثير من الكتب والدوريات تأتي لنا بالمجان، فيما يرد المسئولون العرب الذين تتصل بهم لهذا الغرض قائلين : إن معظم الصحف والدوريات العربية يوجد لها مواقع على الإنترنت، فلماذا الحاجة لتكبد عناء إرسال الكتب وتحمل تكاليف شحنها ؟"، ثم يستطرد د. جهانكير قائلا : "نحن ــ على قدر الاستطاعة ــ نحاول ألا يكون التقصير من جانبنا، ولنا في ذلك أن نفتخر بأن

هناك في كل جامعة حكومية بالهند يوجد قسم للغة العربية، إلى جانب الجامعات الخاصة والمعاهد الأهلية، ونستطيع في الوقت نفسه تأكيد أن تدريس اللغة العربية في الهند لايوجد له نظير في العالم غير العربي، فالطالب المسلم يدرس منذ نعومة أظافره اللغة العربية، وفي حيدرآباد هناك المئات من المدارس النشطة للغاية في تدريس اللغة العربية" . ويؤكد الأستاذ جهانكير أن هذه المؤسسات المعنية بتعليم العربية تحتاج إلى عون من المسئولين العرب، كما تفعل دول العالم في سبيل نشر لغاتها .

إن في نشر الكتاب العربي بعون من المسئولين العرب ما يساعد على تحقيق الغاية استجابة لاهتمام هندي فائق باللغة العربية، وهذا واضح لكل متأمل. وفي أعمال الميمنى وزملائه ما يكشف عن حماسة غير محدودة للحفاظ على تراث خلفه العرب القدماء في مختلف مجالات العلوم الإنسانية، وذلك النشاط الهندي واضح في مقابل انحسار عربي عن الساحة يتركها خالية لغير العرب في وطن تتغلغل الثقافة العربية في أعماقه الروحية، وتتعلق الملايين من سكانه بلغتنا وتاريخنا : "ولعل الأمر يستحق انتباهة، ولعل في اليقظة واجبًا وطنيًا يستحق ضميرًا مقدامًا يمتلك فضيلة مراجعة النفس"كما يقول الأستاذ زكريا عبد الجواد في ختام دراسته[١] .

وتتكامل لدينا معالم البيئة الثقافية التي شب فيها الميمنى وغرست في أعماقه هذا الاهتمام اللغوي الصادق بالعربية وتراثها، إذا أضفنا إلى الصورة التي قدمناها عن جهود أقسام اللغة العربية في الجامعات الهندية جهودًا أخرى لمجموعة من علماء العربية والإسلام في الهند أدركوا "أن أسلافنا الكرام اجتهدوا وسعوا في ترويج العلوم الدينية وغيرها سعيًا كثيرًا، لم نقدر أن نعين لسعيهم وجهدهم وكدحهم حدًا . . . لكن الأسف ثم الأسف على أن الدهر قد ضيع من مصنفاتهم التي كانت كالدرر والدراريّ، إن يبك العالم على ضياعها إلى يوم القيامة لم يكف له"[٢] .

هؤلاء العلماء اختاروا أن يقيموا جمعية تواجه مشكلة ضياع هذه الكتب، كما سبقت الإشارة، سميت بعد ذلك بدائرة المعارف العثمانية في بلدة حيدرآباد ــ الدكن، ثم اختار أعضاء هذه الجمعية أن يكون من مقاصدها "أن تتفحص عن الكتب العربية القديمة للعلماء المتقدمين من بلاد

---

(١) انظر : دائرة المعارف العثمانية في الهند، قلعة لحماية تراث العرب، مجلة العربي، العدد ٥٥١، شعبان ١٤٢٥ ــ أكتوبر ٢٠٠٤ ، زكريا عبد الجواد، ص ٧٨ .

(٢) فهرس مطبوعات مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، ١٣٥١ هـ ص ٢ .

شتى ـ وإن كانت في أقصى أماكن العالم ـ ثم تطبع بعد التصحيح والتهذيب، وإن بذلت فيه المصارف الكثيرة"[١] . ولقد صارت هذه الدائرة بنشاطها في النشر والتحقيق تمثل بالهند قلعة حصينة لتراث العرب في تقدير كثير من الباحثين.

ودائرة المعارف العثمانية تتبع الجامعة العثمانية التي تأسست سنة ١٩١٨ بعد أن أمر مير عثمان على خان حاكم ولاية حيدرآباد بإنشائها لنشر اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي في البلاد .

وقد سميت تلك الجامعة على اسمه لا على اسم حكام الإمبراطورية العثمانية الذين قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ما يوحى بأنها تنتمي إليهم. غير أن دائرة المعارف العثمانية أقدم عهدا من الجامعة نفسها، فقد انضمت إليها فيما بعد ؛ لأن إنشاءها في الأصل كان سنة ١٨٨٨م.

وقد اهتمت الدائرة بنشر التراث العربي. ومن المؤكد أن الميمنى قد تأثر باتجاهها، وإن عمل مستقلاً عنها . وبعد ما نشرته هذه الدائرة من كتب الحديث ورجاله من أعظم وأوسع ما اهتمت به وفي تقدير بعض الباحثين أن هذا النشاط المكثف في نشر كتب الحديث ورجاله لا يضارعه نشاط هيئة أخرى في العالم العربي أو خارجه.

وفي صدر فهرس مطبوعات مجلس دائرة المعارف العثمانية الذي سبقت الإشارة إليه دعوة مجددة لتشجيع أهل العلم على مساعدة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الحصول على مخطوطات أو كتب نادرة تكون لديهم ؛ لفحصها والعمل على نشرها، فهذا عندهم من أهم مقاصد الدائرة كما سبقت الإشارة، حيث يسعون إلى أن يتفحص الباحثون بالدائرة الكتب العربية القديمة للعلماء السابقين من بلاد شتى، ثم تطبع بعد التصحيح والتهذيب[٢] .

ويستطيع القارئ بعد ذلك أن يطلع في هذا الفهرس على بيان بالكتب التي طبعتها هذه الدائرة، وقد بلغ ما نشرته حتى الآن مايزيد على مئتى كتاب في مختلف الثقافة العربية والإسلامية، ومنها كتب عديدة الأجزاء، مثل : "كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال"الذي يشتمل على عدة تصانيف لشيخ الإسلام جلال الدين السيوطى، وكذلك كتاب "لسان الميزان"للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، و"المستدرك"للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابورى، وغيرها كثير.

---

(١) فهرس المطبوعات ص٢ .

(٢) نفسه ص ٣ .

في إطار اهتمام البيئة الإسلامية من حول الميمنى بالكتاب العربي نشأت عنايته بالتراث والبحث في أسرار اللغة العربية، وكان جهده إضافة ملحوظة إلى هذه الجهود المخلصة من حوله، لقد قصر عمره على البحث في التراث العربي ونشر نوادره، فكان ذلك تعبيرًا من جانبه عن اهتمام البيئة الإسلامية في شبه الجزيرة الهندية باللغة العربية واهلها . ولايزال متعلمو اللغة العربية وآدابها في تزايد مستمر في هذه المنطقة ؛ والسبب الأصلي في ذلك هو الرغبة في تعلم القرآن الكريم والسنة النبوية. والحق أن مسلمى شبه القارة الهندية كلهم يسعون أو على الأقل يتمنون التواصل مع مفرداتهما عن طريق تعلم العربية. إنها لغة تكتسب قداسة خاصة بانتمائها إلى القرآن في عقيدة كثير من المسلمين، بالإضافة إلى أنها ذات عراقة تاريخية لا تضارعها في ذلك لغة حية أخرى، ثم هي بالإضافة إلى ذلك تتميز بقدرة حداثية تستطيع بها مواجهة ثقافة العصر، كما فعلت ذلك من قبل في العصر العباسي، وكما تحاول أن تفعل اليوم بتقدم ونجاح مستمر، وتلك صفات ثلاث لا تكاد تجتمع في لغة غيرها من لغات العالم.

ولقد سعد بها القادرون على تعلمها في هذه البلاد، وارتقوا في علمهم بها إلى مستوى الدراسات العليا الأكاديمية ؛ حيث حصل بعضهم على درجتى الماجستير والدكتوراه. ولقد كان من الطبيعي وسط هذه الأشواق الفياضة بحب العربية وأهلها أن يظهر في هذه البيئة نابغة في قدر عبد العزيز الميمنى يكون لسان العربية ومنارها في الهند، كما يتبين لنا فيما يلى من تاريخ رحلته العلمية، واتصاله بالمؤسسات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، وغزارة إنتاجه محققا ومؤلفا .

(٣)

وننتقل الآن إلى الحديث عن بعض الملامح العامة من سيرة هذا الرجل العظيم الذي وهب حياته لخدمة اللغة العربية وآدابها . فقد ولد عبد العزيز الميمنى سنة ١٣٠٦/١٨٨٨ ببلدة "راجكوت"في إقليم "كاتهيادار"، ومنها جاءت نسبته الراجكوتى. وهذا الإقليم يعرف الآن باسم "سورا شترا"على الساحل الغربي للهند . وهو ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال إلى حد ما كانت تشتغل بالتجارة. وقد اهتمت الأسرة بتعليم ابنها صغيرًا تعليمًا دينيًا أوليًا بإرساله إلى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم، ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة العربية شأن كثير من الأسر المسلمة في الهند وغيرها من البلاد في ذلك الوقت.

وقد أبدى الصبى استعدادًا مبكرًا لتلقي العلم، فحرص على متابعة دروسه، وأقبل عليها باهتمام، واستطاع أن يحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وأن يجيد القراءة والكتابة. وكان من طموح الأسرة في تيسير طريق التعليم لابنها الناشئ أن صرفته عن العمل معها في التجارة، وشجعته على مواصلة السعى في طلب العلم، وقد أخذ الميمنى طريقه إلى مراكز العلم آنذاك ليستكمل رحلته العلمية. واستطاع أن يتصل بكبار الأساتذة حينئذ، وأن يقرأ عليهم، ويروي عنهم في "لكهنو" و"رامبور" و"دهلى".

ويذكر مؤرخو حياته أنه بدأ القراءة على شيخه العالم المسند حسين بن محسن الأنصارى (ت ١٩٠٩). وربما كان الأنصارى من أوائل الشيوخ الذين أثروا في الشخصية العلمية للميمنى، فقد لفت نظره إلى الأهمية التراثية للمخطوطات العربية، وحبب إليه اللغة العربية وأهلها؛ فقد كان الأنصارى نفسه عربيا من أهل الحديدة باليمن، واشتغل بالقضاء، ورحل إلى الهند، ثم تعددت رحلاته العلمية بين اليمن والهند يحمل نفائس المخطوطات إليها في كل مرة. وقد أتيح للميمنى أن يفيد من اهتمام أستاذه بالمخطوطات العربية، وخبرته المتجددة بها. وقد أجازه الشيخ برواية الحديث عنه بسنده سنة ١٣٢٦ هـ بمدينة دهلى.

وكان من أساتذته في هذه المرحلة من حياته العلمية نذير أحمد الدهلوى الذي أثنى الميمنى عليه في بعض كتاباته، وذكره بالرضا والتقدير كما ينقل عنه الفحام في دراسته[1]. كما كان من أساتذته أيضا محمد الطيب المكى ثم الهندى (ت ١٩١٦) الذي لقيه الميمنى في رامبور، والذي تحدث عنه في كتاباته باسم: "أستاذي العلامة المرحوم محمد الطيب المكى"، وذلك مثلاً بمناسبة إشارته إلى حديث معه بشأن إحدى النسخ المخطوطة لكتاب "اللآلى في شرح أمالى القالى" الذى حققه الميمنى بعد ذلك، ونشره تحت عنوان "سمط اللآلى"، بزيادة كلمة "سمط" في العنوان كما سنرى فيما بعد. وكان أستاذه المكى قد رحل من مكة إلى الهند، وتولى التدريس في معاهدها العالية شأن بعض علماء العربية والإسلام في ذلك الوقت، واشتهر بكتبه في اللغة والنحو والمنطق.

والواضح في مشيخة الميمنى في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ حياته أن أغلبهم كانوا من العرب أو الهنود الذين يتنقلون بين جزيرة العرب والهند، فهذه الصلة الشخصية الحميمة بالعرب كان لها تأثيرها في شخصيته طوال حياته من حب للعربية والعرب. واستطاع الميمنى بعد ذلك أن يتابع

---

(١) الفحام، نفسه، ص ٢٤٢.

رحلته العلمية بجهده الخاص، وبتواصله مع كثير من الأساتذة، وقراءته لعدد كبير من كتب القدماء التى كان يحفظ منها نصوصا كثيرة، ومن هذه الكتب: المعلقات العشر، وديوان الحماسة، وديوان المتنبى، والمفضليات، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين، وغيرها كما يحدث هو عن نفسه. وكان الميمنى لعدم قدرته على شراء كل ما يتطلع إلى اقتنائه من الكتب يكتفي أحيانًا بأن ينسخها بيده عن بعض الأصول المطبوعة؛ ليحصل بذلك على نسخ مجانية من الكتب التي يريد ان يحتفظ بها .

وفي تعليقات الميمنى ومكاتباته الشخصية ما ينم عن تواضع عميق، ويبدو أن ذلك كان سمة غالبة في شخصيته : فهو يصف نفسه بالعاجز تارة، وبخادم العلم تارة أخرى، وقد يجمع بين الصفتين في عبارة واحدة. وفي رسالة إلى كرد على بمناسبة انتخابه عضوًا بالمجمع العلمي العربي، ومطالبته بإرسال صورة له وبيان بسيرة حياته يصف نفسه بالحقير، فيقول: "هذه صورة الحقير أخذتها جلبًا لرضاكم، وإن كنت بمعزل عن هذه الأشياء. وقد بقى على ترجمة حياة الحقير، وموعدى بها الصيف القادم إن شاء الله"[١] . ومثل هذه العبارات التي تعبر عن التواضع والتقوى كانت من الأساليب التقليدية في كتابات المرحلة السابقة على عصر الميمنى عند أولئك الذين كانوا يعرفون أن التواضع من شيم العلماء الكبار، وقد ورثها الميمنى فيما ورث من بلاغة العصر وأخلاقه؛ بسبب كثرة اطلاعه على مثل هذه المؤلفات. ومع حرص الميمنى على التعبير عن تواضعه الشديد واحترام العلم وتقدير أهله فقد كان شديد الحملة أحيانا فيما يتعلق بحق العلم، وفيما يراه من نقص غير مبرر في أعمال الآخرين، فذلك حق تقتضيه الأمانة المنهجية ؛ ولذلك ربما كان يضيق صدره، وينطلق لسانه في ذم ناقديه الذين لا يتبصرون مواقع أقلامهم. وقد ينبه على أخطاء عمل، ثم يعقب بأنه لم ينبه من أغلاط الأصل "إلا إلى شئ نزر رأيت في التنبيه عليه فائدة أو داعيًا، وأغفلت منها قدرًا جمًا عدد الرمل والحصى ؛ لأني لم أر في ذكرها غرضا غير تسويد الكتاب وتضييع أوقات القارئ فيما لا يجديه، وغير إبراز هوى النفس المكنونة في التحذلق والتفيهق رغما لأنف من يستنكره على من نابتة العصر المتبجحين. فإني أرى، ولا كفران لله أنه :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلازال غضبانا على لئامها"[٢]

---

(١) الفحام، نفسه، ص ٢٥٦.

(٢) الميمنى، سمط اللآلى لأبى عبيد البكرى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦، المقدمة ج ١، ص ن، س.

وقد جلب عليه موقفه من بعض الأعمال العلمية التي يراها منقوصة وتحتاج إلى مزيد من التأمل والمراجعة غضب بعض الكتاب الذين لا يكنون له الود، ويرون أنه ينال منهم بنقد فيه شئ من اللوم والاستخفاف، قد يصل إلى اللذع بسبب ما يتصوره فيهم من الوقوع في الخطأ والوهم.

وقد قضى الميمنى جزءًا من حياته العملية المبكرة ببيشاور، حيث قام بتدريس اللغتين العربية والفارسية بالكلية الإسلامية، ولكنه لم يقم طويلا بها، فقد انتقل بعد ذلك إلى الكلية الشرقية بلاهور، ولكن لم تطل إقامته بها أيضا. ويبدو أنه قد تأذى بهيمنة الإنجليز في ثياب المستشرقين وفي ثياب أتباعهم، فآثر الانتقال إلى الجامعة الإسلامية بعليكره، حيث أتيحت له الفرصة قائلاً:

فربَ من ضنك البلاد أراحنى وأصبحت لايبدو لعينىّ مرآها

وقد قضى الميمنى معظم حياته العملية في هذه الجامعة، وترقى في مراتبها الرسمية : مقرئًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا، فرئيس قسم للأدب العربي بها.

وكان للميمنى نشاط علمى ملحوظ خلال هذه المدة الطويلة التي قضاها في عليكره، فقد كان يشارك في النشاط الثقافي بالجامعة إلى جانب اشتغاله بالتدريس والتأليف في مجالات اللغة والأدب، كما كان له مقالات وتحقيقات ينشرها من حين إلى آخر،ويقدمها في المؤتمرات المختلفة حول نوادر المخطوطات التي رآها في مكتبات القاهرة وإستانبول والهند والإسكوريال، وقد نشرها في مجلات شرقية وغربية[1].

وقد لفتت جهود الميمنى في التحقيق والتأليف أنظار علماء العربية في العالم العربي. وكان الميمنى قد وثق صلاته بكثير منهم في هذه المرحلة من حياته، واستعان ببعضهم في نشر كتبه؛ فتم انتخابه عضوًا مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٨تقديرًا لعلمه وكفاءته. وقد عمل الميمنى بالمجمع السورى ما يقارب خمسين عامًا. وفي هذه الأثناء أصبح عضوًا مراسلاً في المجمع اللغوى بالقاهرة أيضًا، وقد رحب به المجمعيون هنا وهناك، وتم تكريمه عدة مرات بالقاهرة ودمشق التي منحته وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الأولى تقديرًا لعظيم جهوده في تحقيق التراث العربي ونشر العربية.

وفي هذه المرحلة من حياة الميمنى توسعت صلاته بالعلماء العرب وغير العرب، وزاد بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبات القاهرة ودمشق وإستانبول التي زار مكتباتها بما تحفل به من آثار

---

(١) انظر : د. محمود محمد الطناحى، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، الخانجى، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٢٩.

التراث العربي. وأثناء زيارته للقاهرة توثقت صلاته بدور النشر وخصوصا بلجنة التأليف والترجمة والنشر، ودار المعارف بمصر، كما استعانت به وزارة الثقافة بدمشق للإفادة من خبرته في مجال المخطوطات.

وعندما أحيل الميمنى على التقاعد في جامعة عليكره بالهند اتجه إلى باكستان ليقيم في كراتشى، حيث أسندت إليه رئاسة القسم العربي بجامعة كراتشى. وقد أتيح له في هذه المدة بعد أن اكتسب الجنسية الباكستانية في الدولة الجديدة باكستان (١٩٤٧) أن يتولى مناصب أخرى، فعمل مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية لمعارف باكستان، ولكنه ظل محافظا على حمل رسالته اللغوية في نشر العربية والتبشير بها، فقد كان الميمنى لغويا بالدرجة الأولى[١].

وفي كلمة الفحام في الذكرى الأولى لرحيل الميمنى سنة ١٩٧٨ يلخص رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق عمل الميمنى قائلاً: "ومن تأمل عمل الميمنى تبين له أنه كان يتنازعه أمران، أولهما: حب التراث العربي والغيرة عليه والاعتزاز به والحفاظ عليه، ومضى ذلك به صعدًا؛ حتى كان يضن بمعارفه على من لايراه أهلا لها. وهو يبالغ في التأنق بعبارته، والاحتفال لها؛ حتى أنه ليصطنع الغريب من الألفاظ أحيانًا إدلالاً واعتدادًا، والثاني: اندفاعه في نشر التراث وتعريف الناشئة به وتحبيبه إليهم، وما يتطلبه ذلك من التيسير"[٢].

(٤)

لا يتسع المقام للحديث عن الأعمال التي قدمها الميمني للمكتبة العربية بتفصيل كاف، وإنما نشير هنا إجمالا إلى أهم هذه الأعمال. ولعل كتاب "سمط اللآلئ" هو أكثر كتبه المحققة حظًا من حيث ثناء العلماء عليه، وتقديرهم لما بذل فيه من جهد. والكتاب شرح لكتاب "الأمالى" لأبي على القالي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م) وهذا الشرح قام به أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) من علماء القرن الخامس بالأندلس، وهو من أهم كتب التراث، وقد أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مجلدين عام (١٣٥٤ / ١٩٣٦) باسم "سمط اللآلى"، بزيادة كلمة "سمط" التي أضافها المحقق إلى العنوان الأصلي، ليشير إلى مجهوده الخاص فيه.

---

(١) See. The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Ch. Pellat, Article : Al-Maymani

(٢) الفحام، نفسه، ص ٢٦٥.

وعمل الميمنى في تحقيق هذا الكتاب يكشف عن جهد محققه، وعلمه الغزير، وإحاطته الجامعة بالتراث العربي، وبخاصة ما يتصل منه بالشعر ورواياته، وأخبار الشعراء والرواة، وقد كشف المحقق عن قدرة عالية على مداخلة الكتب،واستنطاقها ،وبراعة التعامل معها[١] .

والحق أن عمل الميمنى في هذا الكتاب يعد آية من آيات الإبداع في تحقيق النصوص وتوثيقها . وفي رأي كثير من علماء اللغة والأدب أن حواشيه تمثل معينا ثرًا للراغبين في التوسع والاطلاع، بشرط أن يتم ذلك وفقا للقواعد المنهجية المقررة ؛ ذلك أن بعض محققي الأدب وناشري الشعر القديم قد توسعوا في الإفادة منها دون الإحالة عليها أو الإشارة إلى صاحبها بصورة أو بأخرى، وهذا شر مستطير لايقع فيه المحققون من العلماء الذين يقدرون معنى العدالة والضبط في أخلاقيات المنهج ومبادئه. وسوف نشير بعد قليل إلى عتب مرير للأستاذ على مثل هذه الأقلام المغيرة يدل على ضيقه بهذا الانتهاب الثقافي.

ويذكر المهتمون من المستشرقين بأعمال الميمنى أنه يقدم في تحقيقه لهذا الكتاب عملاً جديرًا بالتقدير الرفيع : [٢] "a highly - esteemed commentary on al-kali"، وهكذا أكبر علماءُ اللغة وأدباؤها، وعددٌ من المستشرقين هذا الصنيعَ العظيم، وأشادوا بالميمنى وجهوده. ولقد كان الميمنى سعيدا بهذا التقبل الكريم لعمله في الكتاب، لولا أنه كان يحيك في صدره شئ يحمله على العتب على هؤلاء الباحثين الذين يشون على كتابه، كما ذكرنا سابقا، "ويستمدون منه دون أن يشيروا إلى اسمه أو يذكروه بشيء، فكان يرى فيهم النهابين يختلسون جهده بدل أن يوفوه حقه، ولطالما أرمضه ذلك وعذبه"[٣] .

يعد الباحثون هذا الكتاب تاج أعمال الميمنى في التحقيق، إذا اعتبرنا كتاب "أبو العلاء وما إليه"تاج أعماله في التأليف، فقد احتفل له الميمنى وروّى، وتأنى في عمله وتأنق : "كان يعنيه الكمال، فمشى على رود يتمهل، فأتى بالعجائب، ونثر في كتابه "الفوائد الفرائد"[٤] وقد وصف الميمنى النسخ الخطية التي اطلع عليها بطريقة مفصلة، وأعد للكتاب مجموعة من الفهارس على غرار مبتكر مفيد تتضمن أسماء الشعراء مرتبة، مع سرد القوافي مرتبة، ومع ذكر أسماء الشعراء

---

(١) محمود الطناحى، نفسه، ص ١٢٧ .

(٢) See, E.I., op. cit.

(٣) الفحام، نفسه، ص ٢٦٢ .

(٤) الفحام، نفسه، ص ٢٦٠ .

والتراجم الواردة والأمثال السائرة، كذلك أعد الميمنى ثبتًا بتصحيح أغلاط وضبط روايات، ومسد خروم، وتقييد زيادات في طبعة "للأمالى"صدرت سنة ١٣٤٤ / ١٩٢٦، واعتمد في إعداده على عدد من النسخ المخطوطة من بينها نسخة الأمالى بالمكتبة الوطنية بباريس.

وفي الكلام على ما في إحدى النسخ التي اعتمد عليها مثلا في التحقيق من مشكلات الوهم والتصحيف والخروم نجد وصفا مفصلاً يدل على وعى علمي واضح بمهام التحقيق، فهو يقول : "والكلام متصل في هذه النسخة، غير أنها مشحونة بالأغلاط والتصحيفات، ولا تخلو صفحة من عشرات عثرات، وبعضها قديم متوارث من أول من نقلها من القلم المغربى، ولم يكن يحسن قراءته؛ وذلك أن كل كلمة فيها طاء لايعرف ناسخنا معناها يجعلها كافا ؛ لأن كاف النسخ تشبه الطاء المغربية، كما فعل في الطُلى وخلطاس، وطلاع إلى غيرها . وربما صحف من قلة محفوظه ونزارة مادته. وأحيلك على صفحة ١٢٣ (ابن أبي زرعة هو ديك الجن شاعر الشام) والصواب (هو وديك الجن شاعرا الشام)، وعلى ص ١٩٥، ٢١١ (على بقية قدومه)، والصواب (على تفيئة قدومه)[١] . ؛ ثم هو يعترف في تواضع بعد هذا الجهد في قراءة النسخة المضطربة ومقارنتها بأخواتها بأنه قد خفيت عليه بعض التصحيفات خفاء، بحيث لم يتضح وجه صوابها، إلا بعد برهة من الزمان، مع أنه يكتفى بألا ينبه من أغلاط الأصل إلا على شئ نزر رأي في التنبيه عليه فائدة أو داعيًا[٢] .

والميمنى يتعقب في تحقيقه لكتاب "اللآلى"طريقة البكرى في التأليف منذ البداية. وهو يلحظ مثلا أن البكرى بقى يقيد كل ما يمر به من الفوائد برهة، وما لم يقف من الأبيات على أثر أو خبر أخلى له بياضا، وقد بقى في الكتاب من هذا النوع شئ كثير لم يستطع سد خلله، أو لم يتسن له ذلك "ولكننى وله الحمد والمنة سددت ثلمته، ورأبت صدعه، إلا بعض ما انقطع دون طمع، ولم تنفع فيه حيلة، وأعيت على فيه مذاهبي، فأخفقت في مآربي، وذلك بعد طرح الكسل، ونبذ الراحة، وبذل الوسع والطاقة ؛ فأبقيته على غرّه لمن هو أعرف به منه ومنى"[٣] .

وهكذا يعلن الميمنى عن عجزه أحيانًا عن حل بعض مشكلات النص ــ تواضعا ــ على عكس ما نجده من صلف البكرى شارح "الأمالى"في تعليقاته على القالى كما سوف نرى، وربما

---

(١) الميمنى، سمط اللآلى، ص ن.

(٢) الميمنى، نفسه، ص ن.

(٣) الميمنى، نفسه، ص س.

يكون لمسحة الاستعلاء التي تبدو في كلام البكرى أثر في إثارة حفيظة الميمنى ضده ؛ لما يجده أحيانا من التجني على مؤلف النص الأصلي، وخصوصا ما أطلق عليه تنبيهات البكرى على أوهام القالى، فالميمنى يصف هذه التنبيهات بأنها "بعيدة الصيت قليلة الجدوى، كما قيل في المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا . . . ورأيت أكثرها يعود وزرها أو أجرها على أشياخ القالى، كابن دريد وغيره، وأبو على منها براء ومن تبعاتها، أو على شيوخ أشياخه "[١] .

كذلك يلحظ الميمنى أن كثيرًا من هذه التنبيهات التي يصطنعها البكرى ليست من الوهم الذي وقع فيه القالى في شئ، وإنما قد تكون في الحقيقة رواية أخرى للنص لم تحظ بارتضاء البكرى واختياره، فنعى بها عليه، وجعلها من مندياته، وفي ذلك يقول : "ورأيته يصول عليه بما ليس فيه مصال من فسحة الخواطر وفترات الغرائز،فيحجّر عليه الواسع من أنه لا يتعظ ولا يتحرج، فيقع في المهواة التي ينكّب الناس عنها، ويأخذ بحجزهم، ولايدرى مصير نفسه، وذلك أنه حرم على القالي ما أتاه بنفسه"[٢] .

والواضح أن طريقة البكرى في التعليق على ما أورده القالى قد استثارت ضيق الميمنى به كما ذكرنا . ومنذ المقدمة يلحظ القارئ نزعة التعالي في أسلوب البكرى،وسخريته بالمؤلف أبي على القالى، فهو يقول : هذا كتاب شرحت فيه. . . ما أغفل، وبينت من معانى منظومها ومنثورها ما أشكل، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع، ونسبت من ذلك إلى قائليه ما أهمل. . .، ونبهت على ما وهم تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند"[٣] ؛ فهنا رمى بصفات من الإهمال والوهم والانقطاع والعجز. وهو أسلوب يرده الميمنى في غير رفق، ويعده من التهجم غير المبرر، فقد تأمل الميمنى ما آخذ القالى به من الأغلاط : "فإذا معظمه من الغث البارد والردئ الكاسد. على أن البكرى، رحمه الله ـ على تبجحه ـ لم يسلم من معرة أمثاله، ووصمة أوهامه كما يمر بك كل هذا في محله. غير أن إثارة مثل هذه المعادن والبحث عن المسائل ربما أدى بالوقوف على فائدة تستطرف، وجوهرة تقدر، فلا تجهل إذاً فائدتها ولا تستنكر".

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص ١.

هكذا يرى الميمنى أن البكرى ربما يكون متطاولا على القالى في بعض تنبيهاته. وهو يتطاول عليه فيما ليس وراءه طائل : "يضرب في حديد بارد، وينفخ في غير ضرم. . . . . على أنه وقع في "اللآلى "في دعاو فارغة وأقوال واهية تجاوز أوهام القالى في العداد، فضل في تيه أوهام يراها من الصواب، ولا هى منه في قبيل ولا دبير. والعصمة لله وحده"[١].

– وقد استطاع الميمنى عندما كان رئيسًا لقسم اللغة العربية بجامعة عليكره بالهند أن يهتم بديوان: "سحيم عبد بنى الحسحاس"الذي قدمه للقارئ العربي لأول مرة، وقد نشره عن نسخة حصل عليها من إستانبول، وضم إليها روايات وتحقيقات ترقى بالديوان وتضاعف من قيمته العلمية. وقد قامت دار الكتب بطبعه سنة ١٩٥٠م. ويذكر في هذا الصدد أن الدار قد حافظت ما وسعها المحافظة على تخريج الميمنى وتعليقاته كما يقول مديرها العام آنئذ أمين مرسى قنديل، ولكنها مع ذلك رأت أن المقام يقتضي أحيانا مزيدًا من الإيضاح، فأضافت ما لا بد من إضافته، ووضعته بين قوسين مربعين تمييزا له، محافظة على الأصل، وتيسيراً للقارئ غير الملم بما يشير إليه الميمنى من مراجع، ويحيل إليه من ثقات أو شواهد، فقد كان يراعى الإيجاز ثقة في أنه لا يكتب للناشئين ولا يخاطب غير الخاصة من أهل العلم والثقافة"[٢].

– وهكذا نجد أن الميمنى الذى حظى تحقيقه لكتاب "اللآلى"بإعجاب اللغويين والمحققين يكشف من جهة أخرى عن قدرة خاصة على إحياء بعض دواوين الشعراء واستدعائها من عالم المجهول بطريقة تستلفت نظر الباحثين وبعض المستشرقين، ومنهم "شارل بلا"الذي يشيد بمقدرته اللغوية، ويضع جهده في بناء عدد من الدواوين المجهولة بناء متكاملا في مقدمة أعماله، وذلك كما فعل في ديوان "حميد بن ثور الهلالى"، وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١، "فهو في الحقيقة قد صنعه صنعًا، ورده إلى الحياة بعد غيبة؛ وكان في الأصل مخطوطة مصحفة محرفة نسخت لأحمد تيمور، فصححها الميمنى، وضم إليها كل ما وجده من شعر حميد"[٣].

– ومن جهود الميمنى في التحقيق كتاب "الفاضل في اللغة والأدب"لأبي العباس المبرد، وقد نشرته دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ لأول مرة، وهو يعد ثالث الكتب التي نشرتها الدار

---

(١) نفسه، ص ل.

(٢) الميمنى، ديوان سحيم، القاهرة ١٩٥٠ ـ تقديم الكتاب.

(٣) See, E.I.op.cit.

بتحقيق الميمنى. وهذا النص لم يسبق نشره، بل هو في رأي محمد أبي الفضل إبراهيم الذي قدم له "لم يكن مما عرف من الكتب التي تداولها العلماء والأدباء، مما خلفه القدماء عامة والمبرد خاصة على نفاسة الكتاب، وجلالة قدر مؤلفه"(١).

وحول حقيقة عنوان هذا الكتاب هناك ما يثير الشكوك لدى المحقق وزملائه من الباحثين فليس ثمة في الأصل المخطوط مايدل على عنوان الكتاب، وليس هناك إشارات تاريخية له سوى ما جاء في خاتمة النسخة "كمل فاضل المبرد". وقدر رُئي بعد إنعام النظر، واستشارة بعض العلماء والباحثين أن ينشر بعنوان "الفاضل"استئناسًا بما جاء في آخر نسخة الأصل كما رجَّح محمد أبو الفضل إبراهيم مدير القسم الأدبي آنئذ، ثم أعيد نشره مرة ثانية سنة ١٩٩٥ بدار الكتب المصرية. وقد رأت الدار عند طبع الكتاب أن تضيف إلى تحقيق الميمنى مزيدًا من التعليق والضبط كما فعلت في نظيره :"ديوان حميد بن ثور الهلالي"الذى سبقت الإشارة إليه، فقد شرحت بعض الألفاظ، وعرفت بعض الأعلام المبهمة جريا على منهج الدار فيما تنشره من النصوص. وقد قام أحمد يوسف نجاتي بهذا العمل، ووضع تعليقاته في الحواشي بين علامتى الزيادة [ ] تمييزًا لها عن تعليقات الميمنى الذي قام أيضا بعمل فهارس للشعراء والشعر المجهول والأرجاز، ثم قام القسم الأدبي بعمل بقية الفهارس التي ألحقت بآخر الكتاب، مثل : فهرس الأعلام، وفهرس الأمم والطوائف والقبائل والعشائر والبطون والأرهاط، وفهرس الأماكن، وفهرس أيام العرب، وفهرس الأمثال، وفهرس الكتب.

– ويعد كتاب "أبو العلاء وما إليه"الذي نشرته المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ من أهم مؤلفات الميمنى – كما يرجح الفحام – وهو محاولة جادة لدراسة الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعرى، والتعرف إلى سيرته، وفهم شعره ومراميه دون الوقوع في شباك الآراء الاستشراقية التي أقحمها بعض الباحثين في تأويل أعماله. وقد مضى الميمنى بعد ذلك في طريق المعرى، فحقق "رسالة الملائكة"(٢).

---

(١) الميمنى، الفاضل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تصدير التحقيق، ص ج، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦.

(٢) مطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٥، وقد أشار الفحام إلى أن هذا النص لم يكن إلا مقدمة للرسالة المذكورة. وقد طبعت رسالة الملائكة تامة لأول مرة بتحقيق محمد سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربي بدمشق عن النسخة الخطية الوحيدة في العالم، والمحفوظة بدار الكتب الظاهرية – مطبعة الترقي بدمشق (١٣٦٣ هـ – ١٩٤٤م)، انظر الفحام، نفسه، ص ٢٤٨.

– وكان من الطبيعي أن يسلمه المعرى إلى شاعر العربية الأكبر أبى الطيب المتنبي، فأصدر كتابه "زيادات ديوان شعر المتنبي"[١] وهو الكتاب الذي يشير إليه محمود محمد شاكر بإعجاب وتقدير في كتابه المشهور عن "المتنبي".

– ومن تآليفه النافعة كتاب "إقليد الخزانة"، وهو فهرس للكتب الواردة في "خزانة الأدب"، لعبد القادر البغدادى، وقد طبع بلاهور سنة ١٣٤٥ / ١٩٢٧، وقد أشار في هوامشه إلى ما يوجد من مخطوطات هذه الكتب في خزانة الهند العامة أو الخاصة، أو في غيرها مما وصل إليه علمه، وإلى ما طبع حديثًا من هذه الكتب، فضلاً عن تصحيح بعض أسماء الكتب التي وردت محرفة في خزانة الأدب المطبوعة ؛ فأصبح "إقليده"بذلك "مجمع فوائد وملتقى فرائد"، وصار تكملة لـ "مفتاح الخزانة"الذي صنعه أحمد تيمور، والذي يتضمن عددا من الفهارس التي وضعها تيمور ؛ ليسهل عليه مراجعة هذا الكتاب العظيم والإفادة به عند اللزوم.

– كان للميمنى اهتمام مبكر بتحقيق النصوص الشعرية وجمعها كما رأينا سابقا، ومن ذلك كتابه "الطرائف الأدبية "الذي يتضمن مجموعة من النصوص الشعرية على قسمين : القسم الأول يشتمل على ديوان الأفوه الأودى، وديوان الشنفرى وتسع قصائد نادرة، والقسم الثاني يشتمل على ديوان إبراهيم بن العباس الصولى، والمختار من شعر المتنبى والبحترى وأبى تمام للإمام عبد القاهر الجرجانى، وقد نشر الكتاب بلجنة التأليف والترجمة والنشر، وقدم له أحمد أمين الذي كان يتلقى هذه النصوص تباعًا من المحقق، ثم تردد في أن ينشرها رسائل صغيرة كل رسالة لها موضوعها وعنوانها، أو يجمعها كلها في كتاب، ولكنه رجح بعد التفكير الرأى الثاني ؛ لأنه رأى أن إقبال جمهور القراء على الرسائل المفردة ضعيف، فالمجموع من الرسائل أكثر اجتذابا للقراء، وهم به أكثر عناية[٢].

– وللميمنى جهود أخرى كثيرة في التأليف والتحقيق لا يتسع المقام لعرضها، مثل: "الوحشيات"، وهو ديوان الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي، وقد نشرت دار المعارف تحقيقه لهذا الكتاب في سلسلتها "ذخائر العرب "سنة ١٣٨٣ هـ، وذلك بمراجعة محمد شاكر، والزيادة في حواشيه.

---

(١) المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦م.

(٢) الميمنى، الطرائف الأدبية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مقدمة الكتاب، القاهرة ١٩٣٧.

وهناك أيضًا كتابه "نسب عدنان وقحطان "لأبي العباس المبرد، وهي رسالة صغيرة حققها، ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ / ١٩٣٦، وكتابه "المنقوص والممدود"، للفراء،و"التنبيهات على أغاليط الرواة"لعلى بن حمزة، وقد نشر الكتابان معا في سلسلة "ذخائر العرب "التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ.

ويستطيع القارئ المهتم بإنتاج الميمنى أن يتابع ما كتبه في مقالاته وبحوثه في اللغة والأدب، وقد جمعت في مجلدين تحت عنوان "بحوث وتحقيقات"قام عليها محمد اليعلاوى، ونشرتها دار الغرب الإسلامي ببيروت.